علم المناسبات
بين المانعين والمجيزين

الدكتور إبراهيم بن سليمان آل هويمل

كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمـــة

الحمد لله الذي جعلنا من المنتسبين لخدمة كتابه الكريم، وشرف الأمة جمعاء بإنزال القرآن العظيم، على سيد الأولين والآخرين، وجعله منجماً في ثلاث وعشرين من السنين، وجعله مترابطاً متناسباً في آياته وسوره وموضوعاته وحكمه وأحكامه وتشريعاته ممايُقطع به أنه من كلام رب العالمين، فأحيا به القلوب، وأنار به الأبصار، وهدى به من الضلالة، وجعله معجزة خالدة لنبينا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، وبعد . . .

فالقرآن العظيم لا تنقضي عجائبه ولاتنتهي معارفه، تتجدد علومه بتجدد الليل والنهار، علومه لا تحصى ولا تستقصى، كلما تدبره المسلم وأنعم فيه النظر فيه زاد شوقاً إليه، وفتح الله عليه من المعارف والعلوم المتصلة به الشيء العظيم، ومن أهم هذه العلوم التي تزداد وضوحاً وتتجلى للأذهان وتظهر للبيان بتدبر القرآن علم المناسبات ووجه الاتصال فيما بين السور والآيات.

ولما رأيت بنظر القاصر واطلاعي المحدود أن هذا العلم من علوم القرآن لم يعتن به العناية المطلوبة ولم يؤصل كغيره من علوم القرآن الأخرى، أحببت أن أدلي بدلوي مع الدلاء، فجمعت أقوال من سبق المتفرقة في ثنايا وطيات الكتب لتكون في موضع واحد مرتبة متناسقة، وجعلت البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة وفهارس.

أما المقدمة ففيها بينت سبب كتابة البحث وأهميته وخطته.

والفصل الأول: تعريف علم المناسبات، وتحته مباحث:

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات في اللغة.

المبحث الثاني : تعريف علم المناسبات في الاصطلاح .

المبحث الثالث : موضوعه .

المبحث الرابع : أهميته .

المبحث الخامس : ثمرته .

المبحث السادس : أهم المصنفات فيه .

أما الفصل الثاني : فيتحدث عن علم المناسبات بين المثبتين والنافين ، وتحته مباحث :

المبحث الأول : أنواع المناسبات .

المبحث الثاني : النافون للمناسبات وأدلتهم .

المبحث الثالث : المثبتون للمناسبات وأدلتهم .

المبحث الرابع : المعتدلون .

المبحث الخامس : الراجح من الأقوال .

الخاتمة : وبينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث ، ثم وضعت **فهارس عامة** لتيسر على المطلع الوصول إلى المطلوب ، ولتكون كالمفتاح للبحث .

والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفقني لعمل الصالحات ، وتجنب السيئات ، إنه ولي ذلك والقادر عل كل شيء . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

الفصل الأول: تعريف علم المناسبات

المبحث الأول: التعريف اللغوي.

المناسبات: جمع مناسبة، وهي في اللغة: المقاربة والمشاكلة.

«فالنون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء»[1].

فإذا اتصل شيء بشيء بأي سبب فبينهما مناسبة ومشاكلة في وجه من الوجوه سواء ظهر هذا الوجه أو خفي.

والمناسبة يطلق عليها بعض العلماء [النظام] أو [الارتباط] ويقصدون به ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني[2].

وبهذا يتضح أن المناسبة أو النظام أو الرباط بمعنى واحد وإن اختلف اللفظ، تدل جميعاً على وجه الارتباط بين آي القرآن وسوره.

والمناسبة تعني المشاكلة وهي مأخوذة من النسب وهو القرابة[3] والرباط ما ربط به[4].

كما أن النظام ما ينظم به الشيء، وعلى هذا فقد يعبر عنه بعض العلماء بالمناسبة، وقد يعبر عنه بعض آخر بالنظام أو وجه الارتباط ولا مشاحة في ذلك، فالجميع يرجع إلى معنى واحد وهو اتصال شيء بشيء.

المبحث الثاني: المناسبة في الاصطلاح

لم يذكر أكثر العلماء تعريفاً اصطلاحياً لعلم المناسبة، ولعل السبب في ذلك هو: توافق المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي فاكتفي بذكر الثاني عن الأول، وهذا في نظري أمر مهم لأنه لابد من المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ومع هذا التوافق والتطابق بينهما إلا أن بعض العلماء والمؤلفين حاول التعريف لهذا العلم في الاصطلاح.

يقول ابن العربي في كتابه: سراج المريدين كما نقله عنه الإمام السيوطي: في تعريف علم المناسبة: (ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم)[٥].

ويقول الدكتور زاهر الألمعي:

«المناسبة في الاصطلاح هي: الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، والمناسبة في كتاب الله: هي البحث عن أوجه الارتباط بين أجزاء الآية أو بين الآية وجارتها، أو بين الآيات في مجموع السورة الواحدة، أو بين السورة والسورة»[٦]

ويقول الدكتور مصطفى مسلم محمد، في تعريفه للمناسبة:

«هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه في كتاب الله تعالى- تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها»[٧].

إن المتأمل في تعريف المناسبة في الاصطلاح يجد وجه الارتباط بينه وبين تعريفها في اللغة -مما يجعل أحدهما- أعني التعريف الاصطلاحي أو التعريف اللغوي- يغني عن الآخر. ومما سبق يمكن أن يقال: إن المناسبة في كتاب الله - جل وعلا - هي: وجه الارتباط بين سور القرآن وآياته وكلماته.

المبحث الثالث: موضوعه

علم المناسبات أحد علوم القرآن الكريم المتعددة بل هو من أهمها، إذ مبناه على التدبر لكتاب الله. وقد أمرنا بالتدبر، يقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ

﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]

يقول الإمام البقاعي[٨] في كتابه نظم الدرر[٩]، وهو يتكلم عن المناسبات: «وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب»[١٠].

وهذا في أي مناسبة، فيكون علم المناسبات هنا أجزاء القرآن وآياته وسوره من حيث الترتيب وتناسقه وتناسبه ووجه اتصال بعضه ببعض.

وإذا كان موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم وآياته وسوره، فهو علم جدير بالبحث والتأليف والتأصيل وقضاء الأوقات في تدبر الآيات، ليظهر من خلال هذا التدبر وجه الاتصال، وهذا ما سيتبين في الأسطر الآتية إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع: أهمية علم المناسبات

علم المناسبات من أهم الموضوعات، والبحث فيه من أهم البحوث لشرف هذا العلم، وكما قيل شرف العلم بشرف المعلوم، وهو علم يُسبر به غورُ العقول، ويُعرف به قدرُ العقول، فوائده غزيرة جداً، وأهميته ظاهرة لا تخفى وما ذاك إلا أنه علم من علوم القرآن الكريم، وشرف العلم بشرف المعلوم.

وأي شرف يداني شرف القرآن فضلاً أن يساويه؟

ولدراسة هذا العلم ومعرفة وجه الارتباط بين الآيات والسور فوائد ومزايا عدة منها:

١- أن فيه زيادة علم، وحسن فهم، وتدبر لكتاب الله عز وجل. وبه يفهم المقصود من الآيات فهماً صحيحاً لا يمكن حصوله دون النظر في المناسبة.

يقول الإمام الزركشي[١١]:

«فأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[١٢].

ويقول الإمام عبد الحميد الفراهي[١٣]: «. . . ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه»[١٤].

فالإمام الزركشي يرى أن أكثر اللطائف القرآنية مودعة في ترتيبه ونظمه.

ولا عجب أن نرى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- يؤلف كتاباً أسماه (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) جمع هذه المواهب أثناء قراءته وتدبره للقرآن الكريم في شهر رمضان عام ١٣٤٧هـ.

وأيضاً ما نُقل عن بعض المفسرين كالألوسي وغيره عند إرادته لتفسير القرآن الكريم أنه يكثر من تلاوة وتدبر الآيات المراد تفسيرها قبل الشروع فيه ليظهر له بذلك التدبر المعنى المقصود من هذه الآيات.

٢- أن هذا العلم يربي العقل، ويعطيه ملكة قوية في حسن التدبر والاستنباط، وفي هذا يقول الإمام الزركشي:

«واعلم أن علم المناسبات علم شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول»[١٥].

ولا غرو أن نرى حافظ القرآن المتقن لحفظه العامل به المكثر لتلاوته حتى يكون لسانه رطباً به المتخلق بأخلاقه- أن نراه- موفقاً في اجتهاده مسدداً في رأيه.

٣- أن بهذا العلم تكشف أوجه من أوجه الإعجاز القرآني من جهة نظمه.

٤- في معرفة هذا العلم ووجه مناسبة اللاحق للسابق وما نزل متأخراً لما نزل قبل، وأوجه الارتباط بين ما تباعد نزوله، يُعلم ويؤكد أن هذا القرآن من عند الله عز وجل ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]

٥- بهذا العلم يتبين سرّ التكرار في الكلمات والآيات والقصص بحيث تظهر مناسبة كل كلمة أو آية أو قصة وردت في موضعها وأن لكل منها هدفاً يختلف عن غيره من المواضع.

٦- لو لم يكن فيه من الأهمية إلا أنه علم من علوم القرآن الكريم لكفى، وكفى بهذه الأهمية أهمية.

يقول الزركشي:

«وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة»[١٦]. ويقول السيوطي[١٧]: «العلم بهذه الأسرار ضروري، والجهل بها نقص في مراتب العلماء»[١٨]..

المبحث الخامس: ثمرته

تعرف قيمة العلم إذا عرفت ثمرته ونتيجته، والثمرة هي الهدف من العلم وعلم المناسبات له ثمار جمة من أهمها:

١- أنه يساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من لحمة متينة، فإن بعضه آخذ بأعناق بعض في تأليف محكم، حاله حال البناء المتين المتلاحم الأجزاء، وكالكلمة الواحدة متسق المعاني منتظم المباني، ومن محاسن الكلام عند الأئمة أن يرتبط بعضه ببعض[١٩].

٢- أنه أعان على الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني، فالمتأمل في لطائف نظم سور الكتاب وفي بدائع ترتيبها -رغم تنجيمها على نيف وعشرين سنة- يتبين أن القرآن مصدره الحكيم الخبير وأنه إلى جانب إعجازه من ناحية فصاحة ألفاظه وشرف معانيه معجز من جهة ترتيبه ونظم آياته وسوره[٢٠]. وقد قال عز وجل: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]

٣- بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين:

(أ) نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

(ب) نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب.

والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط، لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موضع الإعجاز ورسخ إيمانه لكثرة تأمله في علم المناسبات، وزاد نور قلبه وقرار عينه[٢١].

المبحث السادس: أهم المصنفات في علم المناسبات

علم المناسبات علم من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم بل هو في نظري من أجلها وأهمها لما يحتويه من لطائف القرآن، ولما يدل عليه من إعجاز في الأسلوب، ومع أهميته ودقته والحاجة إليه إلا أنه لم ينل العناية التامة التي تظهر أهميته من بين علوم القرآن كما نالها غيره من العلوم. ولذا نجد أن المؤلفات فيه قليلة بل قليلة جداً إذا ما قورنت بالمؤلفات الأخرى

في أي علم من العلوم. والأسباب في ذلك -والله أعلم- التي من أجلها ندرت المؤلفات فيه أو قلت وجعلت المفسرين يُعرضون عن الخوض في مضماره هي:

١- دقة هذا العلم. فهو علم دقيق الاستنباط يحتاج إلى تدبر عميق لآيات الكتاب وتأمل طويل وفكر وقّاد. يقول الزركشي: «وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته»[٢٢].

٢- أن المناسبة ربما خفيت بين بعض الآيات أو بعض الآيات والسور... مما يجعل الباحث في هذا العلم يتكلف المناسبة، ولذا أعرض عنه الكثير خوفاً من تكلف المناسبة.

٣- عدم اتفاق العلماء على وجوده: وقد أشار العلماء قديماً إلى إعراض كثير منهم عنه ومن ذلك أن ابن العربي[٢٣] قد يئس من طلاب العلم والعلماء الذين أعرضوا جملة وتفصيلاً عن هذا العلم الجليل وأعرب عن يأسه بقوله: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[٢٤] ويقول الإمام الفخر[٢٥] في حديثه عن المناسبة -وهو من المهتمين بها- في آخر تفسيره لسورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار»[٢٦].

فتبين من القولين السابقين لهذين العالمين الجليلين أن كثيراً من المفسرين بل جمهورهم معرض عن هذا العلم مع أهميته مما كان له الأثر في عدم التأليف فيه. ومع هذا إلا أن بعض العلماء كتبوا فيه فمنهم من أفرده بمؤلف خاص ومنهم من اهتم به في ثنايا تفسيره، ومنهم من ضمنه بعض مؤلفاته. فمن أفرده بالتصنيف:

١- الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الزبير الثقفي[٢٧] (ت ٧٠٨هـ) ألّف كتاباً سماه (البرهان في تناسب سور القرآن)، والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور سعيد جمعة الفلاح، وموضوعه بيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، ولا يتعرض فيه للمناسبة بين الآيات.

٢- العالم برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، توفي سنة ٨٨٥هـ ألّف كتاباً كبيراً في هذا العلم سماه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وهو مطبوع في (٢٢) مجلداً.

٣- الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، توفي سنة ٩١١هـ، وقد تناول هذا العلم في أكثر من مؤلف منها:

(أ) تناسق الدرر في تناسب السور، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد القادر أحمد عطا.

(ب) مراصد المطالع في المقاطع والمطالع.

(ج) أسرار التنزيل. وضمنه في باب من أبوابه.

٤ - الشيخ عبد الله بن محمد الصديق الغماري[٢٨] أفرده بالتأليف في كتاب سماه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن).

٥- محمد ظاهر بن غلام[٢٩]، توفي سنة (١٤٠٧هـ): في كتاب سماه (سمط الدرر في ربط الآيات والسور).

هؤلاء من العلماء الذين أفردوا هذا الفن بمؤلف مستقل على حد علمي القاصر وإطلاعي الناقص.

أما من اعتنى به في تفسيره فكثير وهم بين مكثر منه ومقل، ومنهم:

١- أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري[٣٠] توفي سنة ٥٣٨هـ، في تفسيره الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وهو من أوائل العلماء الذين بحثوا عن أوجه الترابط بين الآيات وما ذاك في نظري إلا أنه مهتم بإعجاز القرآن وهذا يعد من إعجازه، إلا أنه لم يتعرض لأوجه المناسبات بين كل الآيات.

٢- الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، توفي سنة ٦٥٦هـ، في تفسيره (مفاتيح الغيب) أو (التفسير الكبير) وقد اعتنى به عناية ظاهرة لا تكاد تخفى على المطلع في تفسيره.

٣- نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري[٣١]، توفي سنة ٧٢٨هـ، في تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، وإن كان تعرضه له قليل إذ لا يذكر في الغالب إلا ما كان ظاهراً جداً من وجه المناسبة ولا يكون ذلك في كل الآيات بل في بعضها.

٤- أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي[٣٢]، توفي سنة ٧٤١هـ، في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل).

٥- أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني[٣٣]، توفي سنة ٧٤٩هـ، في تفسيره (أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية) حيث يذكر كثيراً أوجه المناسبة بين الآيات والسور.

٦- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي[٣٤]، توفي سنة ٧٤٥هـ، في تفسيره البحر المحيط.

٧- محمد بن أحمد الشربيني[٣٥]، توفي سنة ٩٧٧هـ، في تفسيره (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير).

٨- أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي[٣٦]، توفي سنة ٩٨٢هـ، في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم).

٩- محمد بن علي بن محمد الشوكاني[٣٧]، توفي سنة ١٢٥٠هـ، في كتابه (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير).

١٠- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي[٣٨]، توفي سنة ١٢٧٠هر، في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

١١- الشيخ محمد رشيد رضا[٣٩]، توفي سنة ٣٥٤هـ، في تفسيره (تفسير المنار).

١٢- محمد بن مصطفى بن محمد المراغي[٤٠]، توفي سنة ١٣٦٥هـ، في تفسيره.

١٣- محمد الطاهر بن عاشور التونسي[٤١]، توفي سنة ١٣٩٣هـ، في تفسيره (التحرير والتنوير).

هؤلاء جملة العلماء من المفسرين الذين اهتموا بهذا الجانب -علم المناسبات- في ثنايا التفسير وهم بين مقل ومكثر، وبين متكلف لذكر المناسبة ومقتصر على ما ظهر من وجه المناسبة والارتباط.

بينما نجد جانباً آخر من جوانب التأليف والاهتمام بهذا العلم ألا وهو جانب التأليف في علوم القرآن وقد نال علم المناسبات شيئاً من الاهتمام حيث ضمن هذه المؤلفات في فصل أو باب من هذه المؤلفات، ومن هؤلاء:

١- الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي المعروف بابن العربي -توفي سنة ٥٤٣هـ- في كتابيه: (أحكام القرآن) و (سراج المريدين).

٢- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام[٤٢] توفي سنة ٦٦٠هـ في كتابه (مجاز القرآن).

٣- كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الزملكاني[٤٣] - توفي سنة ٧٢٧هـ - في كتابه (البرهان في إعجاز القرآن).

٤- الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي -توفي سنة ٧٩٤هـ- في كتابه (البرهان في علوم القرآن).

٥- الإمام جلال الدين السيوطي - توفي سنة ٩١١هـ - في كتابه (الاتقان في علوم القرآن).

٦- محمد بن أحمد بن سعيد بن عقيلة المكي[٤٤] - توفي سنة ١١٥٠هـ- في كتابه (الزيادة والإحسان).

٧- الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي[٤٥] - توفي سنة ١٣٣٨هـ- في كتابه (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان).

هذه بعض وأشهر المؤلفات التي تناولت البحث في هذا الموضوع، ومع ذلك لم يهمله المتأخرون من العلماء بل تناولوه في مؤلفاتهم ودراساتهم، ومن هؤلاء:

١- محمد محمود حجازي[٤٦] في كتابه (الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم).

٢- د. صبحي الصالح[٤٧] في كتابه (مباحث في علوم القرآن).

٣- محمد أحمد يوسف القاسم[٤٨] في كتابه (الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره).

٤- زاهر بن عواض الألمعي[٤٩] في كتابه (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم).

٥- مصطفى مسلم محمد[٥٠] في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن).

٦- محمد عبد الله دراز[٥١] في كتابه (النبأ العظيم).

٧- محمد عناية الله هداية الله في رسالته الماجستير (إمعان النظر في نظام الآي والسور).

هذه أهم الكتب وأشهره لتي تناولت علم المناسبات من قريب أو بعيد بشيء من الدراسة والبحث. وما زالت الحاجة قائمة إلى تأصيل هذا العلم وإفراده واستقراء الأقوال فيه وإبرازه علماً مستقلاً من علوم القرآن لما فيه من النفع العظيم والخير العميم.

الفصل الثاني :علم المناسبات بين المثبتين والمانعين

المبحث الأول : أنواع المناسبات

المناسبة في القرآن الكريم أنواع، وهي لا تقتصر على نوع واحد وهو المتبادر إلى الذهن وهي المناسبة بين آيات السور، وإنما هذا نوع من أنواعها، وإلا فالمتأمل في المناسبة وأوجه الترابط يدرك أن هناك أنواعاً أخر.

ويمكن أن نقسم المناسبات إلى قسمين :

١ - المناسبات في السورة الواحدة.

٢ - المناسبات بين السور.

ولكل قسم من هذه الأقسام جزئيات تندرج تحته.

فالقسم الأول يندرج فيه :

(أ) المناسبة بين اسم السورة ومحورها.

(ب) المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة.

(ج) المناسبات بين الآيات

(د) المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

والقسم الثاني أيضاً يندرج تحته بعض الجزئيات ومنها :

(أ) المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها.

(ب) المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها.

(ج) المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها.

وفيما يلي توضيح لهذه الجزئيات وبيان لها.

القسم الأول : المناسبات بين السورة الواحدة .

أ- المناسبة بين اسم السورة ومحورها . .

غالباً يكون التناسب بين اسم السورة ومقصودها وهدفها الأساسي التي تتحدث عنه آياته . يقول الإمام البقاعي رحمه الله مشيراً إلى هذا الأمر : «وقد ظهر لي . . . بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عملي هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه»[٥٢] . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر في الكتاب العزيز ومن هذه الأمثلة سورة الفيل فإن اسم السورة يشير إلى حادثة الفيل الذي قدم به أبرهة قاصداً هدم الكعبة وما سلط الله عليه من عقوبة . وانظر مثلاً إلى سورة الكهف أو الحج أو يوسف أو غيرها من سور القرآن . ويظهر هذا جلياً إذا كان للسورة الواحدة أكثر من اسم - فلا بد أن تظهر المناسبة بين واحد من هذه الأسماء ومحور السورة كما في سورة الفاتحة والمائدة ومحمدً وغيرها من سور القرآن ولا سيما إذا قلنا بجواز تسمية السورة بما تتصف به ، أما إذا اقتصر على الاسم التوقيفي فلا يكون منطبقاً تماما في جميع سور القرآن ، أو أن يظهر هذا في كل سورة ، فقد تكون المناسبة بين اسم السورة ومحورها ظاهرة وهذا في أغلب سور القرآن ، وقد تكون خافية أو لاعلاقة بين اسم السورة ومحورها ، وهذا قليل .

ب- المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة . .

القرآن الكريم في مفرداته وآياته وسوره متصلٌ اتصالاً معجزاً جعله كالبنيان المرصوص المحكم المتلائم المتناسق ، بحيث يختل هذا النظم ويتفكك هذا البناء عند إحداث تغيير فيه ، ولا يمكن أن نضع آية مكان

أخرى، أو كلمة بدل أخرى تؤدي معناها وتستعمل في اللغة بدلها، أو حرفاً مكان آخر، ولو حدث شيء من ذلك لاختل نظامه وانقطع ترابطه، كما يحدث ذلك للحافظ المتقن عندما يغلبه القرآن فيحدث التبديل، فسرعان ما يرجع إلى صوابه ويستبعد ما أدخله في الآية ولو كان في آية أخرى، فسبحان من أنزله معجزاً بلفظه وأسلوبه، ومن هنا جاءت أنواع المناسبات في الآية ذاتها كمناسبة اللفظ للفظ، أو مناسبة اللفظ للمعنى المراد، أو مناسبة فاصلة الآية لمفهوم الآية أو منطوقها.

وإن المتأمل والمتدبر لآي القرآن يجد هذه الأنواع ظاهرة جلية واضحة وما تكاد تُغير لفظه -حتى من غير قصد- إلا ويختل النظام ويتفكك التركيب ويتخلخل الكلام، ولا أدل على ذلك مما يحدث عند تلاوته، عندما تدخل لفظة في بعض الآيات المتشابهات، أو يسقط بعض اللفظ في تلاوته، فلا يذكره بالآية المنسية أكثر ما يتذكر إلا نسق الحروف في بعض كلماتها، ولا يبين له مواقع الكلمة المتشابهة إلا نظام كل كلمة من آياتها، ولا يهديه إلى ما أسقطه من اللفظ غير إحساسه باضطراب النظم، وتخلخل الكلم[٥٣].

وهكذا قل في مناسبة الفاصلة لما دلّت وتضمنت الآية، فتجد أن الآية غالباً تختم بما يؤكد منطوقها أو مفهومها، ولا يخرج عن ذلك، ولا أدل على ذلك من ختم كثير من الآيات باسم من أسماء الباري عز وجل أو صفة من صفاته، وعند التأمل في المعنى المراد في ثنايا الآية يجد أنها ختمت بما يناسب ذلك المعنى.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨]

فختم الآية بقوله ﴿واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ بعد بيان حد السرقة ظاهر المناسبة، وهذا يظهر من قول الأعرابي وهو يستمع إلى قراءة الرجل في المسجد لهذه الآية عندما أبدل خاتمتها فقال (والله غفور رحيم) قال الأعرابي: كلام من هذا؟ قال: كلام الله. قال الأعرابي: لا. فأعاد الرجل القراءة وختم الآية بقوله﴿واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال الأعرابي: الآن، نعم عزّ فحكم فقطع[٥٤].

ج- المناسبة بين الآيات في السورة..

وهذا ظاهر جلي إذا كانت السورة قصيرة وتتحدث عن موضوع واحد، فنجد الآيات جميعاً تتناول هذا الموضوع مبيّنة له، وتظهر المناسبة بين الآيات.

لكن وجه المناسبة قد يخفى بين الآيات والمقاطع في السورة الواحدة الطويلة لا سيما إذا نزلت في فترات متباعدة، أو تناول كل مقطع موضوعاً مستقلاً عن غيره، أو كان لكل مقطع سبب نزول يختلف عن الآخر.

وهنا يحتاج الأمر إلى إعمال النظر وإطالة الفكر والتدبر والتأمل للكشف عن وجه المناسبة، وغالباً أنها تكون ظاهرة للمتأمل، ويؤيد ذلك ما ورد عن الرسول ص عند أمره بوضع هذه الآية في مكانها بعد آية كذا وكذا.

د- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها . .

وهذا واضح غاية الوضوح فلا تكاد تجد سورة إلا وبين فاتحتها وخاتمتها مناسبة ظاهرة .

فمثلاً سورة الواقعة حيث افتتحت بالأخبار عن يوم القيامة وانقسام الناس فيه إلى ثلاثة أقسام ، وختمت ببيان جزاء هذه الأقسام .

ومثلاً سورة المؤمنون ، حيث فتتحت ببيان الفلاح للمؤمنين المتصفين بهذه الصفات ، ثم ختمت بنفي الفلاح عن الكافرين الذين لم يتصفوا بهذه الصفات وعبدوا مع الله غيره .

القسم الثاني : المناسبات بين السور . .

(أ) المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها . .

ذكر العلماء وجه المناسبة والارتباط بين فاتحة كل سورة والسورة التي قبلها مما ينتج عنه ارتباط سور القرآن العظيم بعضها ببعض ، كعقد اتصل نظامه وكلبن أحكم بنيانه .

وقد ذكر السيوطي رحمه الله في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور ، ما يغني عن ذكر الأمثلة هنا .

(ب) المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها . .

يقول بعض العلماء : «إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى»[٥٥] .

ومن ذلك اختتام سورة النساء بقوله عز وجل : ﴿ **يبين الله لكم أن تضلوا** ﴾ ففيه إعلان بتبيين الله أحكام الحلال والحرام وأحكام الإسلام حتى لا يضل الناس ، وتأتي بعد هذا سورة المائدة مفتتحة بهذه الأحكام ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . . .** ﴾ .

وهكذا في غيره من السور، فمثلاً سورة الأعراف وما ختمت به من الأمر بالإنصات والاستماع لقراءة القرآن الكريم، وتأتي بعدها سورة الأنفال مبينة ما يترتب على الاستماع من المزايا العظيمة.

وهكذا في سورة الطور وبعدها سورة النجم، وسورة القمر وبعدها سورة الرحمن.

وقد أفرد السيوطي هذا اللون من ألوان المناسبات برسالة سماها (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع).

ج- المناسبة بين مضمون السورة ومضمون السورة التي قبلها..

كثيراً ما نجد التناسب بين مقاصد السور وموضوعاتها وموضوعات السورة التي قبلها، ولعل من أظهر الأمثلة على ذلك، ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا ببعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتها في السبع الطوال»[٥٦].

وإن المتأمل في غير هذا المثال يجد المناسبة بين موضوعات كثيرة من السور[٥٧].

هذه أهم أنواع المناسبات بين السور وأظهرها وإن كان هناك من يدخل تحت هذا النوع المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما قبلها، وأيضاً المناسبة بين خاتمة السورة وخاتمة ما قبلها. لكن لما رأيت عدم ظهور هذا الوجه تماماً أعرضت عنه اكتفاءً بما تقدم، ولولا الإطالة والتشعب المترتب بعضه على بعض لضربت الأمثلة لكل نوع وبسطتها غاية البسط وذكرت ما قاله العلماء فيها ولكن يكتفى بالإشارة والتلميح ففيه ما يغني عن التوضيح.

المبحث الثاني : المثبتون للمناسبة وأدلتهم

تقديم :

وبعد ما تقدم من أهمية هذا العلم، ووجوده وحديث العلماء عنه قديماً وحديثاً، والضرورة إليه، إلا أن الناس إزاءه انقسموا ثلاثة أصناف :

فريق أثبت هذا العلم وانتصر له حتى وصل به الحد إلى الغلو فيه وإثباته حتى فيما ليس له وجود فيه، وتكلف المناسبة تكلفاً ظاهراً حتى أوجدها بين كل آية وآية وبين كل مقطع ومقطع، وبين أول كل سورة وخاتمتها، وبين آخر كل سورة ومطلع التي بعدها.

وفريق آخر من العلماء على الضد تماماً فأعرضوا عن هذا العلم إعراضاً كلياً ولم يتطرقوا إليه لا من بعيد ولا من قريب حتى ولو كانت المناسبة ظاهرة.

وفريق آخر وسط سلك منهج العدل فأثبته في موضع ظهوره حيث لا يحتاج إلى تكلف أو تمحل، وأعرض عنه عند وجود ذلك.

ولكل من أصحاب هذه الأقوال دليله وحجته ومستنده أعرض لها فيما يلي بشيء من التفصيل -إن شاء الله-.

المثبتون للمناسبة

يحسن بنا قبل أن نعرف أدلة القائلين بوجود المناسبة أن نتعرف على أعيانهم وأن نذكر شيئاً من أقوالهم في علم المناسبة ومنهم:

١- الإمام فخر الدين الرازي، يقول في معرض حديثه عن المناسبة: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[٥٨].

٢- الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية[٥٩]

ومن كلامه: «... وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله إلى آخره، ولهذا قيل خير الكلام المسبوك، الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه»[٦٠].

٣- الإمام أبو حيان، وقد اهتم بذكر المناسبات في ثنايا تفسيره «البحر المحيط».

٤- الإمام بدر الدين الزركشي، وقد قال: «ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز».[٦١]

٥- أبو جعفر أحمد بن الزبير، وقد ألّف كتاباً مستقلاً في هذا الفن.

٦- الإمام البقاعي، وقد ألف كتاباً كبيراً في ذلك.

٧- الإمام جلال الدين السيوطي، وقد ألف كتاباً في ذلك.

٨- الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري[٦٢] حيث اعتنى به عناية جيدة في تفسيره «صفوة الآثار والمفاهيم».

٩- محمد رشيد رضا. وذلك في تفسيره «تفسير المنار».

هؤلاء أشهر العلماء القائلين بوجود المناسبة المنتصرين لهذا القول فضلاً عن غيرهم من العلماء والباحثين من المتأخرين الذين أسهموا في الكتابة في علوم القرآن والدراسات القرآنية مضمنين هذه الكتابات الحديث عن المناسبة وأنواعها .

أدلة المثبتين

وفيما يلي ذكر الأدلة لهؤلاء العلماء :

قبل إيراد الأدلة لابد من ذكر مقدمة وهي : إن طريق إتيان المناسبة أو ردها هو طريق واحد وهو العقل ، إذ لم يرد في ذلك شيء من الأدلة النقلية لأنها مسألة اجتهادية تبنى على غيرها من المسائل وتقاس ، ولذا نجد أن أدلة المثبتين على كثرتها راجعة إلى الاستنباط والاستقراء ، ومن هذه الأدلة :

١- أن فهم كتاب الله ومعرفة أحكامه المستنبطة منه ، لا يمكن إلا بمعرفة ارتباط أوله بآخره ، وآخره بأوله ، ومعرفة السباق والسياق واللحاق .

يقول الإمام الشاطبي[٦٣]:

« فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره ، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف ، فإن فُرِّق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده ، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض ، إلا في موطن واحد ، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه ، لا بحسب مقصود المتكلم ، فإذا صح له الظاهر على العربية رجع إلى نفس الكلام ، فعما قريب يبدو له منه المعنى المراد ، فعليه بالتعبد

به . . . فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها»[٦٤].

٢- إذا كان الترتيب -ترتيب الآيات والسور توقيفياً- وهذا هو الراجح وعليه المعول-فإن لهذا الترتيب على هذه الصورة- مع اختلاف مكان النزول وتباعد أزمنته- سرّ ومقاصد ومناسبات ولا شك .

٣- في إثبات علم المناسبات إبطال لمزاعم المستشرقين وكل الطاعنين في صحة القرآن، الذين اعتبروا ترتيب القرآن ثلمة يمكن أن ينقد القرآن عن طريقها، وعدوا ذلك عيباً فيه واضطراباً في التأليف[٦٥].

٤- في إثبات المناسبة إثبات وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في نظمه -والقرآن معجز في نظمه كما هو معجز في فصاحته وأحكامه .

٥- هذا العلم يساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من ترابط قوي، ويدعوا المتأمل فيه إلى البحث والتحري والتأمل والتدبر . ومن محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض وأحسن الكلام على الإطلاق كلام الله عز وجل[٦٦].

٦- أن معرفة المناسبة يعين على فهم الآية، بل يقلل الاختلاف في فهمها، وهو من المرجحات عند الاختلاف .

هذه أهم الأدلة التي ذكرها المثبتون لعلم المناسبة أو استنتجت من كلامهم على المناسبة .

المبحث الثالث : النافون للمناسبات وأدلتهم

لم أقف على حد علمي القاصر واطلاعي الفاتر على قول لأحد من العلماء ينفي وجوده، وإنما غاية ما في الأمر أن بعض العلماء سكتوا عن هذا العلم، ولم يتعرضوا له، ولم يوردوه في مصنفاتهم، وهذا لا يكفي دليلاً على الحكم بنفيهم له، إلا ما أثر عن الإمام الشوكاني رحمه الله حيث قال في تفسيره -فتح القدير- عند تفسيره لقوله عز وجل : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠]. «اعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا بسباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم بالتأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ومن تأخره. . . ثم قال بعد كلام طويل فيه التشنيع عمن قال به وأنه لا فائدة فيه، ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي يعثر في مساحتها كثير من المحققين»[٦٧].

ومع هذا الكلام والتشنيع على من قال بها إلا أننا نجد الشوكاني نفسه يورد المناسبة في كثير من الآيات، ومن ذلك ما ذكره في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ [البقرة: ٢٥] قال: «لما ذكر الله تعالى جزاء الكافرين عقبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد»[٦٨]

وأيضاً ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] قال: «لما فرغ سبحانه من إرشاد عباده إلى ذكره وشكره عقب ذلك بإرشادهم إلى الاستعانة بالصبر والصلاة فإن من جمع بين ذكر الله وشكره واستعان بالصبر والصلاة على تأدية ما أمر الله به ودفع ما يرد عليه من المحن فقد هدي إلى الصواب ووفق إلى الخير»[٦٩]. إلى غير ذلك من أقواله التي تدخل تحت مفهوم المناسبة ووجه الاتصال وهذا يعني أنه طبق هذا العلم عملياً.

وممن قال أيضاً بعدم وجود المناسبة:

٢- محمد بن عبد الله الغزنوي[٧٠] توفي سنة ١٢٩٦ هـ - فقد تابع الشوكاني في كلامه السابق حيث نقله بنصه في تعليقه على تفسير (جامع البيان في تفسير القرآن للأيجي)، عند تفسير الآية السابقة من سورة البقرة وبدون إحالة على كتاب الشوكاني أو تعليق على ما ذكره مما يوحي بموافقته له.

٣- محمد السيد صديق حسن الحسيني القنوجي[٧١] توفي سنة ١٣٠٧هـ- في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن).

هؤلاء هم أشهر من عثرت على كلام لهم ينفي وجود المناسبة وقد استدلوا بما يلي:

أدلة النافين:

إن الدليل الذي يستدل به هؤلاء العلماء على منع المناسبة أياً كانت يستشف من كلام الإمام الشوكاني السابق حيث أشار إلى عدة أدلة منها:

١- أن نزول القرآن كان على حسب الأحداث والوقائع المتفرقة، أو الإجابة على الأسئلة المختلفة، وكان ذلك في أزمان متباعدة -في نيف وعشرين سنة- وهذا يبعد المناسبة بين هذه الأسئلة وبين هذه الوقائع، وبين ما ينزل في بيان حكم من الأحكام، أو ينزل ابتداءً بلا سبب ورتب على خلاف ترتيب نزوله! فكيف يطلب إيجاد مناسبة بين آياته وسوره على هذه الصورة؟ .

٢- أن ترتيب القرآن في المصحف غير ترتيب نزوله .

٣- أن طريق إثبات هذا العلم وإبرازه هو التكلف المقيت مما ينبغي أن ينزه عنه كلام الله، والعلوم المتعلقة به[٧٢].

٤- أن علم المناسبات من الرأي المحض وهو منهي عنه في تفسير كلام الله عز وجل[٧٣].

٥- أن في إثبات هذا العلم فتح لأبواب الشك في كتاب الله وتوسيع لدائرة الريب على من في قلبه مرض[٧٤].

٦- أن علم المناسبات علم لا نفع وراءه ولا ثمرة ترجى منه .

هذه أهم وأظهر الأدلة التي عولوا عليها في ردهم لعلم المناسبات .

مناقشة أدلة المانعين:

إن المتأمل في أدلة المانعين للمناسبة يجد أنها لا تسلم من المعارضة وفيما يلي أقف مع هذه الأدلة لمناقشتها:

١- قولهم أن القرآن نزل منجماً في أزمنة متفرقة . .

وقولهم هذا لا ينفي وجود المناسبة بين آياته وسوره. . . يقول الزركشي:

«قال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيبا[٧٥].

وكون الرسول ﷺ يقول لكتبة الوحي: ضعوا هذه الآية في السورة التي فيها كذا بعد آية كذا، دليل قوي على وجود المناسبة.

٢- قولهم إن القرآن رتب على خلاف نزوله. .

وهذا القول يمكن أن يجاب عنه أيضاً، يقول عبد المتعال الصعيدي في كتابه «النظم الفني في القرآن» إنه لو لم يكن ترتيب القرآن توقيفياً على خلاف أزمنة نزوله لأجل وضع الآية بجانب ما يناسبها، لكان العدول عن ترتيبه على أزمنة نزوله إلى هذا الترتيب خالياً من الحكمة، وهذا محال على الله -جل وعلا- [٧٦].

فاقتضت حكمته تعالى أن يكون كتابه المقروء في المصحف وفق كتابه في اللوح المحفوظ، وإن كان النزول على خلاف ذلك، كما اقتضت حكمته أن تكون أغلب السور قد جمعت بين آيات مختلفة النزول زماناً ومكاناً ولكن لأمر ما وسر دقيق جمعت في سورة واحدة تهدف إلى غرض واحد له في الغالب مقدمات ونتائج، وهذا موضوع دقيق المأخذ صعب المسلك لا يناله إلا من أشرب قلبه حب القرآن[٧٧] وأيضاً فالمعول عليه في علم المناسبات هو ترتيب الآيات والسور في المصحف لا ترتيب النزول، وترتيب المصحف كان بتوقيف من النبي ﷺ على الصحيح من أقوال أهل العلم.

٣- أما قولهم: إن في إثبات المناسبات تكلف، فنقول:

إن المناسبة إذا بحثت بضوابطها المعتبرة زالت الكلفة ونأى التكلف،

ثم إن التكلف مذموم، ولكن التماس المناسبة ليس من التكلف في شيء بل هو من تدبر القرآن الذي أمرنا به كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]

وهذه المناسبة لا يصل إليها إلا من أشرب قلبه حب القرآن، وهذا العلم -علم المناسبة- قد تكلم فيه من ليس له قدرة عليه فخبط وتكلف، وهذا لا يؤثر في العلم ولا ينفي وجوده ولا يحط من قدره ولا يوجب الإعراض عنه(٧٨).

وبعد هذا فما قد يكون فيه كلفة من أوجه المناسبة عند بعض الناظرين في هذا العلم نجدها ظاهرة تمام الظهور عند غيره، فالتكلف أمر نسبي يختلف باختلاف تدبر القرآن ومعرفة أغراضه ومقاصده.

٤- أما قولهم: إن علم المناسبات من الرأي المحض. .

فهذا كلام مجمل يقال في هذا العلم كما يقال في غيره وقد وضع العلماء الضوابط لتفسير القرآن بالرأي وهي كما بينها الإمام السيوطي في الإتقان(٧٩):

(أ) النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

(ب) الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقاً.

(ج) الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات عن ظاهرها إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

(د) الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع.

هذه أهم الضوابط لتفسير القرآن بالرأي فإذا عمل بها والتزمت كان التفسير سائغاً جائزاً، وإن طرحت وأعرض عنها وفسر بمجرد الرأي المطلق كان التفسير منهياً عنه.

وبهذا فعلم المناسبات كغيره من علوم القرآن قد يكون البحث فيه محموداً وقد يكون مذموماً .

فإن سلكت فيه الضوابط كان محموداً، وإن كان بمجرد الهوى كان مذموماً، وبهذا لا يصير منهياً عنه على الإطلاق لكونه يعتمد على الرأي .

٥- وأما قولهم : إن في هذا العلم فتح لأبواب الشك . .

فهذا كقول القائل :

والنجـــم تستصغـــر الأبصـــار رؤيتـــه

والذنـب للطرف لا للجسم في الصغر

فكتاب الله لا ريب فيه ولا شك، وعجزُ طالب المناسبة عن إتيانها والوصول إليها لا ينعكس على كتاب الله، وإنما العيب في فهمه وقصور إدراكه، وعلى هذا فيمكن أن ينفي عنه الإعجاز لكون الباحث في هذا الباب لم يتوصل إليه، وهكذا يمكن أن يطرد في علوم كثيرة من العلوم المتعلقة بكتاب الله عز وجل .

٦- وأما قولهم : إنه لا ثمرة وراءه ولا فائدة فيه . .

فلن أناقش هذه المقولة وأحيل القارئ على مبحث متقدم معنون بـ «فوائد هذا العلم وثماره» ليقف على تلك الفوائد الجمة والثمار الظاهرة لهذا العلم .

وبعد هذه المناقشة الهادفة لأدلة المانعين من إثبات علم المناسبات نتوصل إلى أن أدلتهم لا تصلح أن تكون حجة لهم في منع المناسبة وإنما قد تكون مانعة من التكلف في إيجاد المناسبة وهذا ما سيكون الحديث عنه في المطلب الآتي :

تحقيق موقف النافين

إن المتتبع لأقوال هؤلاء العلماء في مؤلفاتهم يتوصل إلى أن ما قالوه من عبارات تجاه علم المناسبات توحي بنفيهم له وإنكارهم على من أثبته أو بحث فيه، لا تكفي دليلاً قاطعاً منهم بنفيهم لهذا العلم وأنهم ممن ينكره، وذلك لعدة أمور:

١- إن المتتبع لما كتبوه في التفسير يجد أنهم أثبتوا المناسبة بين الآيات في مواضع كثيرة وإن لم يصرحوا بلفظ المناسبة . وهذا في حد ذاته يكفي دليلاً على أنهم ممن أثبت المناسبة .

٢- ثناء هؤلاء الأئمة على الإمام البقاعي -وهو ممن أفرد علم المناسبات بالتأليف وعلى مؤلفه . يقول الإمام الشوكاني في معرض حديثه عن البقاعي واستفادته منه: «ومن أمعن النظر في كتابه المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثيراً ما يشكل عليّ شيء في الكتاب فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي وأرجع إلى هذا الكتاب -نظم الدرر- فأجد فيه ما يفيد في الغالب[٨٠].

وهذا النص ذكره بلفظه محمد صديق في ترجمته للإمام البقاعي[٨١] وهذا الإقرار منهما -رحمهما الله- وهما ممن حملا لواء الرد والثناء منهما على هذا الكتاب المؤلف ابتداءً لهذا العلم كافٍ في إثباتهما لهذا العلم .

٣- أن الإمام الغزنوي أورد في مقدمة تعليقاته أنه يذكر غالباً وجوه المناسبة بين الآيات وما يتعلق بارتباط اللواحق بالسوابق[٨٢].

وبهذا -والله أعلم- يتبين الحامل لهؤلاء العلماء على قولهم في نفي المناسبة والتشنيع على التأليف فيها وهو:

أن بعض الذين تبنوا هذا العلم لم يتعاطوه على وجهه ولم يسلكوا فيه الضوابط الموضوعة له، وإنما تكلفوا وتمحلوا المناسبة في كثير من المواضع مما جعل هؤلاء الأئمة يشددون القول في إنكاره.

وبهذا يتبين موقفهم من علم المناسبة وهو أن إنكارهم ليس منصباً على علم المناسبة فهو علم من العلوم المتعلقة بالقرآن وإنما هو منصب على تلك التكلفات والتعسفات في إيجاد المناسبة في جميع القرآن وبين كل آية وأخرى وبين مطلع السورة وخاتمتها أو مطلعها وخاتمة سابقتها فهم أثبتوا المناسبة مطلقاً ولا أدل على ذلك من وجودها في تفسير الإمام الشوكاني وهو المتزعم للتشنيع على المثبتين. لكنه يذكرها إذا كانت في غاية الوضوح والبيان، ويعرض عنها ولا يتكلف في إتيانها إن كانت غير ذلك. ويمكن أن يعتذر للإمام الشوكاني -رحمه الله- أنه ألف كتابه في سنوات طويلة ولم يراجعه بعد الانتهاء منه، فلعل حديثه عن منع المناسبة والتشنيع على القائلين بها كان في أول الأمر.

وهذا المسلك هو الذي سلكه فريق من العلماء وسيأتي الحديث عنهم في المبحث الآتي.

المبحث الرابع: المعتدلون

وهم وسط بين من انتصر وغلا في إثباتها على أي وجه كان وبين من أغفلها ولو كانت ظاهرة تمام الوضوح.

وهذا الفريق نبّه على المناسبة في مواطن ظهورها حيث تكون واضحة سهلة المنال، ورغبوا عن التكلف والتمحل فيما خفي منها.

ومن هؤلاء العلماء:

١- عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد[٨٣] - توفي سنة ٦٥٦هـ - حيث يقول في كتابه الموسوم بـ(الفلك الدائر على المثل السائر): «وقد قيل في هذا الفن أقوال طويلة عريضة أكثرها بارد غث، ومنها ما يشهد العقل وقرائن الأحوال أنه مراد»[٨٤]

٢- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام[٨٥] - توفي ستة ٦٦٠هـ -، وقد نقل عنه الزركشي في البرهان قوله: «المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر... ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض[٨٦].

٣- ومنهم أيضاً محمد الطاهر بن عاشور التونسي -توفي سنة ١٣٩٣هـ - إذ يقول في مقدمة تفسيره: «ولما كان تعيين الآيات التي أمر الرسول ﷺ بوضعها في موضع معين، غير مرويّ إلا في عدد قليل كان حقاً على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً موصلاً وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين»[٨٧].

٤- ومنهم الدكتور مناع خليل القطان إذ يقول: «فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى منسجمة مع السياق متفقة مع الأصول اللغوية، كانت مقبولة، ولا يعني هذا أن يلتمس المفسر لكل آية مناسبة فإن القرآن نزل منجماً حسب الوقائع، وقد يدرك المفسر ارتباط آياته وقد لا يدركها فلا ينبغي أن يتعسف المناسبة اعتسافاً وإلا كانت تكلفاً ممقوتاً»[٨٨]

وغير هؤلاء العلماء كثير سلك هذا المسلك لسلامته وصحته فأثبتت إذا كانت ظاهرة ولم تتكلف وتتمحل إذا خفيت .

الترجيح . .

في الصفحات السابقة استمعت إلى أقوال العلماء في هذا العلم وأدلتهم وإلى مناقشتها وخاصة منهم النافين للمناسبة الحاملين على مثبتيها وتبين بعد هذه المناقشات إثبات المناسبة من الجميع ولكن منهم المقل ومنهم المكثر ومنهم المقتصر على ما ظهر منها المشنع على التكلف في البحث عنها ومنهم المتمحل المتكلف، مما يحملني على القول بإثبات الجميع لها، وأنه هو الحق الذي ينبغي القول به ونفي ما سواه، بل إثباتها مما يحتمه الاعتقاد بتنزيه كلام الله عز وجل عن التناقض إذ هو مرتب الآيات والسور ولا يمكن أن يكون هذا الترتيب عبثاً أو بلا فائدة، فإن ذلك مما ينزه الله عنه، وذلك للأمور الآتية :

١ - إن في اثباتها فوائد كثيرة ظاهرة متفق عليها معمول بها وإذا قلنا بعدمه انعدمت هذه الفوائد .

٢- اتفاق كثير من العلماء في ذكر كثير من المناسبات وبخاصة الواضحة تمام الوضوح، حتى المتزعم لنفيها .

٣- قوة أدلة المثبتين وحججهم .

٤- ضعف أدلة النافين وتهاويها عند مناقشتها .

٥- إن من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، الإعجاز البياني، وهذا باتفاق الأمة فهو يتسم بحسن الترتيب وجمال التناسق ورصانة النظام .

هذه أهم المرجحات للقول بإثبات المناسبة إذا سلك في إثباتها الضوابط الآتية:

ضوابط القول بإثبات علم المناسبات:

يقول الدكتور: سعيد جمعة الفلاح في مقدمته لكتاب البرهان لابن الزبير: «ودرءاً للخلاف، وإبعاداً للتكلف المقيت، في المناسبة، عمل بعض العلماء على التنبيه إلى بعض الضوابط التي ينبغي أن تلتزم في القول بها[٨٩].

وإغفال هذه الضوابط وعدم الأخذ بها والاعتماد عليها في أخذهم واستنباطهم للمناسبة جعلهم يقعون في التكلف المقيت فعمد بعض العلماء إلى وضع هذه الأسس والضوابط ليرجع إليها الباحث في هذا العلم حتى يكون على بينة من أمره، ويكون استنباطه صحيحاً مبنياً على أسس وقواعد ثابتة يحتكم إليها.

ومن أهم هذه القواعد ما يلي:

١- الوحدة الموضوعية[٩٠]

يقول الدكتور عبد الله دراز:

«إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن لا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الوصفية بين جزء وجزء منه إلا بعد أن يُحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها، على وجه يكون معواناً له على السير في تلك التفاصيل عن بينة، فقديماً قال الأئمة: إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وأنه لا غنى

لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية[٩١].

٢- أن يكون الكلام في أمر متحد مرتبط أوله بآخره[٩٢].

وذلك بوجود رابط من الروابط، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والتضاد والتنظير والاستطراد والتخلص[٩٣].

يقول طاهر الجزائري:

«فإذا أتت جملة بعد جملة وكانت معطوفة عليها وجب أن يكون بينها نوع تناسب، أما إذا أتى كلام بعد كلام وكان كل منهما مستقلاً من كل وجه، لم يجب أن يكون بينهما تناسب بل يورد أحدهما بعد الآخر إما بطريق الاقتضاب وهو الجادة المعروفة، أو بطريق التخلص إن أمكن ذلك من غير تكلف»[٩٤].

٣- أن يكون الباحث في علم المناسبة بارعاً في علم البيان والبديع ليتمكن من معرفة الرابط بين الجمل:

ومع هذ فإن عل الباحث في علم المناسبات أن يحذر غاية الحذر في تعامله مع كتاب الله وأن يحرص كل الحرص حتى لا ينزلق في هوة التكلف المذموم، وأن يبذل قصارى جهده للتعرف على وجه المناسبة فإن ظهر له شيء منها فليقل به، مسنداً الفضل فيه إلى الله تعالى وإن خفي عليه وجه المناسبة فليمسك ويكل الأمر إلى علام الغيوب[٩٥].

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي يسر لي البحث في هذا الموضوع المهم، ويسر لي الوصول إلى نهايته، ولمّ أطرافه، ووضع اللبنات الأولى في التأليف فيه، ومن خلال البحث توصلت إلى نتائج أحببت أن ألخصها في هذه النقاط :

١- أن علم المناسبات من أجَلِّ علوم القرآن .

٢- أن لعلم المناسبات فوائد جمة وكثيرة .

٣- أن علم المناسبات مثبت موجود .

٤- أن المناسبات منها ما هو ظاهر جلي، ومنها ما هو خفي يحتاج إلى تمعن وتدبر وتدقيق .

٥- أن خلاف العلماء فيه ليس على وجوده وإنما هو في تكلفه .

٦- أن المناسبة أنواع فمنها ما يتعلق بالآية، ومنها ما يتعلق بالآيات، ومنها ما يتعلق بالسور .

٧- أنه لا ينبغي التكلف في إثبات المناسبة بل يقتصر على ما ظهر منها .

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها، فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من مجانبة للصواب أو قصور فهذه سنة الله في خلقه، ونسأله العفو والغفران، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على تيسيره وتسهيله، وأسأله المزيد من عونه وتوفيقه .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الهوامش:

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٣٢٤/ ٥) مادة (نسب). وانظر اللسان مادة (نسب) / ١ ٥٥٧، والصحاح ٤٢٢/ ١،

(٢) انظر البرهان ٦٣/ ١،

(٣) القاموس المحيط ٧٣١ -٦٣١/ ١،

(٤) المرجع السابق ٤٧٣/ ٢،

(٥) الإتقان ١٤١/ ٢

(٦) دراسات في التفسير الموضوعي ص ٧٧.

(٧) مباحث في التفسير الموضوعي ص ٨٥.

(٨) إبراهيم بن عمر بن حسين الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي أبو الحسن برهان الدين، من أجل أهل القرن التاسع ولد سنة (٨٠٩) له عدة مؤلفات من أشهرها نظم الدرر. انظر البدر الطالع،٩١/ ١

(٩) كتابه نظم الدرر يقع في (٢٢) مجلداً وقد طبع - ألّفه لهذا الغرض -بيان المناسبات.

(١٠) نظم الدرر، ٥/ ١

(١١) بدر الدين محمد عبد الله بهادر الزركشي أحد العلماء الأثبات في القرن الثامن، له مؤلفات كثيرة تجاوزت الثلاثين توفي سنة (٧٩٤) انظر الدرر الكامنة ٧٩٣/ ٣ وشذرات الذهب، ٥٣٣/ ٦

(١٢) البرهان، ٦٣/ ١

(١٣) عبد الحميد الفراهي ولد سنة (٠٨٢١) في (فريها) قرية من قرى الهند، كان متضلعاً في علوم القرآن منقطعاً إلى تدبر القرآن دراسته، توفي سنة (٣٤٩هـ) انظر مقدمة الإمعان في أقسام القرآن لسليمان الندوي.

(١٤) دلائل النظم ص.٣٨

(١٥) البرهان، ٥٣/ ١

(١٦) البرهان، ٦٣/ ١

(١٧) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو (٦٠٠) مصنف منها المطبوع ومنها المخطوط. انظر شذرات الذهب ٨/ ١٥

(١٨) معترك الأقران ص ٥٤،

(١٩) انظر البرهان في تناسب سور القرآن ص٦٧ ،

(٢٠) المرجع السابق.

(٢١) انظر نظم الدرر ١١/ ١

(٢٢) البرهان ٦٣/ ١

(٢٣) محمد بن عبد الله المعافري أبو بكر المعروف بابن العربي، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، أحد الأعلام، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٥٤٣هـ) ، انظر: طبقات المفسرين للداودي ٧٦١/ ٢، ووفيات الأعيان، ٣٢٤/ ٣

(٢٤) نقله عنه السيوطي في الإتقان، ٨٣١/ ٢

(٢٥) محمد بن عمر بن الحسين بن علي الإمام فخر الدين الرازي، صاحب التصانيف الشهيرة، توفي يوم الإثنين يوم عيد الفطر سنة (٦٠٦) ، انظر طبقات المفسرين للداودي، ٥١٢/ ٢

(٢٦) التفسير الكبير، ٨٣١/ ٧ .

(٢٧) أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم ، ، ، يكنى بأبي جعفر وعرف بنسبته إلى جده الأول الزبير وغلب عليه ذلك ، صنف في كثير من المعارف منها المخطوط ومنها المطبوع. انظر بغية الوعاة، ١٩٢/ ١ الدرر الكامنة ١/ ٨٩-٩١ ، الوافي بالوفيات / ٦ ٢٢٢ .

(٢٨) عبد الله بن محمد الصديق الغماري ، من علماء المغرب المعاصرين.

(٢٩) محمد ظاهر بن غلام، من علماء الهند المعاصرين.

(٣٠) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، غاية في الذكاء وجودة القريحة ، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه مجاهراً به داعياً إليه ، توفي سنة (٥٣٨)، انظر طبقات المفسرين للداودي، ٤١٣/ ٢

(٣١) الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري نظام الدين ويقال له الأعرج، مفسر أصله من بلده (قم) له كتب منها غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، وغيرها كثيرة ، توفي بعد، (٨٥٠) انظر الأعلام، ٦١٢/ ٢

(٣٢) محمد بن أحمد بن محمد بن جزيُ الكلبي المالكي، يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة (٧٤١هـ) ، انظر الدرر الكامنة ٦٤٤/ ٣ وطبقات القراء، ٣٥/ ٢

(٣٣) شمس الدين أبو الثناء محمود جمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن مجد الدين أحمد بن محمد الأصفهاني الشافعي، له مؤلفات في التفسير والأصول والفقه وغيرها، توفي سنة (٧٤٩)، انظر طبقات المفسرين للداودي، ٣١٣/ ٢ شذرات الذهب، ٥٦١/ ٦

(٣٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، توفي سنة (٧٤٥)، انظر الدرر الكامنة ٠٧/ ٥، وطبقات المفسرين للداودي ٧٨٢/ ٢،

(٣٥) محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي المعروف بالخطيب الشربيني، فقيه مفسر متكلم نحوي صرفي من كتبه السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، وله غيره كثير، توفي سنة (٩٧٧هـ). انظر شذرات الذهب / ٨ ٤٨٣.

(٣٦) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود، مفسر من علماء الترك المستعربين كان حاضر الذهن سريع البديهة، له التفسير المشهور وغيره من الكتب، توفي سنة (٩٨٢هـ) انظر شذرات الذهب، ٨٩٣/ ٨

(٣٧) محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء له مؤلفات كثيرة منها تفسيره المشهور ونيل الأوطار وغيرها، توفي سنة (١٢٥٠)، انظر البدر الطالع ٥٢٢-٤١٢/ ٢، والأعلام ٨٩٢/ ٦،

(٣٨) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني أبو المعالي من الدعاة إلى الإصلاح، حمل على أهل البدع، له كتب كثيرة منها تفسيره روح المعاني، توفي سنة (١٣٤٢هـ) انظر الأعلام ٢٧١/ ٧،

(٣٩) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين البغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار وتفسير المنار، توفي سنة (١٣٥٤هـ) انظر الأعلام ٦٢١/ ٦

(٤٠) محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، باحث مصري عارف بالتفسير ممن تولوا مشيخة الأزهر، له عدة مؤلفات.

توفي سنة (١٣٦٤هـ). انظر الأعلام. ٣٠١/ ٧ وشيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر ص ٣٢.

(٤١) محمد الطاهر الثاني بن الشيخ محمد بن العلامة القاضي المفتي نقيب الأشراف محمد بن الطاهر الأول، بن عاشور الأندلسي، توفي سنة (١٣٩٣هـ) انظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير - رسالة ماجستير إعداد عبد الله بن إبراهيم الريس، ٤٠١/ ١

(٤٢) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسين بن محمد بن المهذب عز الدين أبو محمد السلمي سلطان العلماء كان عاقلاً ناسكاً ورعاً زاهداً أمّاراً بالمعروف نهاءً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم. انظر البداية والنهاية ٥٣٣/ ٣١ النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧.

(٤٣) محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري الشافعي ابن الزملكاني كان يضرب بذكائه المثل، أطلق عليه الذهبي عالم العصر وأمير الشافعية وكان بصيراً بالمذهب، توفي سنة (٧٢٧هـ)، انظر الدرر الكامنة، ٤٧/ ٤

(٤٤) محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود الحنفي المكي الشهير بابن عقيلة، ولد ونشأ وتوفي بمكة، له مؤلفات في التاريخ وعلوم القرآن. انظر معجم المؤلفين، ٤٦٢/ ٨

(٤٥) طاهر بن محمد صالح بن احمد بن موهوب السمعوني الجزائري الأصل الدمشقي المولد والوفاة، كان إماماً ضليعاً جامعاً بين المعقول والمنقول، توفي سنة (١٣٣٨هـ) انظر الأعلام، ١٢٢/ ٣ ومقدمة كتابه التبيان ص:٩

(٤٦) من العلماء المعاصرين في مصر، له كتابات في علوم القرآن.

(٤٧) صبحي الصالح من علماء لبنان المعاصرين.

(٤٨) محمد أحمد يوسف القاسم. عضو هيئة التدريس في جامعة أم القرى.

(٤٩) زاهر بن عواض الألمعي، الأديب الشاعر عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية -سابقاً-

(٥٠) مصطفى مسلم محمد، عضو هيئة التدريس في كلية أصول الدين -جامعة الإمام- سابقاً.

(٥١) محمد بن عبد الله دراز، فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب كثيرة، توفي سنة ١٣٧٧هـ، انظر الأعلام، ٦٤٢/ ٦

(٥٢) نظم الدرر ٨١/ ١ـ ٩١.

(٥٣) انظر إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ص ٢٤٣

(٥٤) لزيادة الإطلاع انظر الإتقان ٢٠١/ ٢، والبرهان ٨٧/ ١، والبديع في ضوء أساليب القرآن ص٣٩،

(٥٥) انظر الإتقان ٢٤١/ ٢ والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن ص٢٠٣

(٥٦) انظر المستدرك ٠٣٣/ ٢ مختصراً وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: تقدم هذا وأنه صحيح.

(٥٧) يراجع كتاب الإعجاز البياني ص ٩٦٣، والبرهان ١٦٢-٠٦٢/ ١ وتناسق الدرر ص٦٣.

(٥٨) انظر التفسير الكبير ٨٣١/ ٧.

(٥٩) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد الزرعي الدمشقي الفقيه الحنبلي الأصولي المفسر شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، توفي سنة (٧٥١هـ) ، انظر البداية والنهاية ٤٣٢/ ٤١ والدرر الكامنة ١٢/ ٤ .

(٦٠) الفوائد ص.٢٢٤

(٦١) البرهان ٧١٣/ ١

(٦٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسري ولد عام (١٣٣٢هـ) له مؤلفات عدة بلغت (٣٧) مؤلفاً وله تفسير لم يتمه ، توفي سنة (١٣٩٩هـ) انظر مقدمة تفسيره ص.١١

(٦٣) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي أصولي حافظ من أئمة المالكية، من كتبه الموافقات ، توفي سنة ٧٩٠هـ، انظر الأعلام ٥٧/ ١ .

(٦٤) الموافقات ٠١٣-٩٠٣/ ٣.

(٦٥) انظر مجلة الدعوة العدد (٧) عام ٩٩٣١ هـ ص٦٨ .

(٦٦) انظر البرهان في تناسب سور القرآن ص٦٧ .

(٦٧) فتح القدير ١/ ٧٢-٧٣ .

(٦٨) فتح القدير ٤٥/ ١ .

(٦٩) فتح القدير ٨٥١/ ١ .

(٧٠) العلامة المحدث محمد بن عبد الله الغزنوي قدم الهند ودخل دلهي ولازم دروس الشيخ المحدث نذير حسين الحسيني الدهلوي، وقال الناس في الحديث ، توفي سنة ٦٩٢١هـ، انظر مقدمة جامع البيان.

(٧١) محمد صديق خان بن حسين بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، له مؤلفات كثيرة منها فتح البيان في مقاصد القرآن وغيرها كثير ، توفي سنة (١٣٠٧هـ)، انظر الأعلام ٧٦١/ ٦ .

(٧٢) فتح القدير ١/ ٧٢ - ٧٣.

(٧٣) المرجع السابق.

(٧٤) المرجع السابق.

(٧٥) البرهان ٧٣/ ١ .

(٧٦) النظم الفني في القرآن ص٤ .

(٧٧) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير ص٢٢٤.

(٧٨) انظر التبيان ص٢٦٤.

(٧٩) الإتقان ٥٩٣-٣٩٣/ ٢.

(٨٠) البدر الطالع ٠٢/ ١.

(٨١) التاج المكلل ص٣٥٨-٣٥٩.

(٨٢) انظر مقدمة جامع البيان ص٢٠.

(٨٣) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، عالم بالأدب من أعيان المعتزلة، له مؤلفت كثيرة، توفي ببغداد سنة (٦٥٦هـ) ، انظر البداية والنهاية / ٣١ ٩٩٦، والأعلام ٩٨٢/ ٣.

(٨٤) الفلك الدائر ص٢١٦-٢١٧.

(٨٥) سبقت ترجمته في هامش ٤٢.

(٨٦) البرهان ٧٣/ ١.

(٨٧) التحرير والتنوير ٩٧/ ١.

(٨٨) مباحث في علوم القرآن ص٩٧-٩٨.

(٨٩) انظر البرهان في تناسب سور القرآن ص٦٥.

(٩٠) المرجع السابق.

(٩١) النبأ العظيم ص١٥٤-١٥٥.

(٩٢) انظر البرهان في تناسب سور القرآن ص٥٦، والبرهان ٧٣/ ١.

(٩٣) انظر الإتقان ٩٣١/ ٢.

(٩٤) انظر التبيان ص١٦٢، والبرهان ٧٣/ ١، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص١٥٢.

(٩٥) انظر فواتح السور وخواتيمها ٢١/ ١.

المراجع

١- القرآن الكريم

٢- ابن عاشور ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير قدمها عبدالله إبراهيم الريس، ١٤٠٨هـ

٣- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الفكر.

٤- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، محمد أحمد يوسف القاسم، دار المطبوعات الدولية ط١، ١٣٩٩هـ.

٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت.

٦- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين.

٧- الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، عبدالغفار عبدالرحيم، مطبعة الحلبي.

٨- إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله، رسالة ماجستير -كلية أصول الدين.

٩- البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير، مكتبة المعارف ط٣، ١٩٧٩م.

١٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد علي الشوكاني، دار السعادة، ط١ -١٣٤٨ هـ.

١١- البديع في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، دار المعارف القاهرة، ط١، ١٩٧٩م.

١٢- البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الثقفي، طبع جامعة الإمام.

١٣- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر.

١٤- بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، مطبعة الحلبي، ط١، ١٣٨٤هـ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٥- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لصديق حسن خان القنوجي، دار اقرأ بيوت ط٢ - ١٣٨٤هـ.

١٦- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن، طاهر الجزائري الدمشقي، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.

١٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية ط١ -١٣٨٤هـ.

١٨- التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث.
١٩- تناسق الدرر، السيوطي، عالم الكتب.
٢٠- جامع البيان في تفسير القرآن، معين الدين محمد الأيجي، دار نشر الكتب الإسلامية.
٢١- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبدالله الغماري، مكتبة القاهرة.
٢٢- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زاهر عواض الألمعي.
٢٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، دار الجيل.
٢٤- دلائل النظم، للفراهي، المراكز الهدية ومكتبتها ١٣٨٨هـ.
٢٥- شذرات الذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للنشر والتوزيع بيروت.
٢٦- شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر، طبع الأزهر.
٢٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين بيروت ١٣٩٩ هـ ت/ أحمد عبدالغفور عطار.
٢٨- صفوة الآثار والمفاهيم، عبدالرحمن الدوسري، ط١ - ١٤٠١ .هـ.
٢٩- طبقات القراء للذهبي.
٣٠- طبقات المفسرين/ محمد علي الداودي، دار الكتب العلمية، ط١ - ١٤٠٣هـ.
٣١- فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، دار الفكر العربي، ط١ - ١٩٦٥م.
٣٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الإمام الشوكاني، دار الفكر.
٣٣- الفلك الدائر على المثل السائر، عبدالحميد بن أبي الحديد، دار الرفاعي ط٢ - ١٤٠٤هـ.
٣٤- الفوائد، ابن القيم، دار نشر الكتب الإسلامية باكستان.
٣٥- فواتح السور وخواتيمها، عبدالعزيز الخضيري، (١٤١٧هـ) رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين.
٣٦- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت.
٣٧- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت

٣٨- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين.
٣٩- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ.
٤٠- مجلة الدعوة الإسلامية، العدد (٧)، ١٣٩٩هـ.
٤١- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا طرابلس، ١٩٩٠ .م.
٤٢- معترك الأقران في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ط١ - ١٤٠٨هـ.
٤٣- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مكتبة وهبة ١٩٧٢م.
٤٤- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، إحياء التراث العربي.
٤٥- الموافقات، الإمام الشاطبي، تحقيق الدكتور عبدالله دراز، ط٢ - ١٣٩٥هـ.
٤٦- النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز، دار العلم، الكويت ط٢ - ١٩٧١م
٤٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين بن تغري بردي، مصورة عن طبعة دار الكتب.
٤٨- نظم الدرر، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ط٢ - ١٤١٣هـ.
٤٩- النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الأدآب مصر.
٥٠- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ط٢ - ١٣٨١هـ.
٥١- وفيات الأعيان، ابن خلكان، مطبعة السعادة.